172 - وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .

- 173 - أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون .

- 174 - وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون .

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن ا ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه قال تعالى : { فأقم وجهك حنيفا فطرت ا التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق ا } .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة Bه قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " كل مولود يولد على الفطرة " . وقال ابن جرير عن الأسود بن سريع من بني سعد قال : غزوت مع رسول ا صلى ا عليه وسلّم أربع غزوات قال : فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول ا صلى ا عليه وسلّم فاشتد عليه ثم قال : " ما بال أقوام يتناولون الذرية " ؟ فقال رجل : يا رسول ا أليسوا أبناء المشركين فقال : " إن خياركم أبناء المشركين ألا إنها ليست نسمة ولد تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها " قال الحسن : وا لقد قال ا في كتابه : { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم } (رواه ابن جرير وأخرجه أحمد والنسائي) الآية . وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن ا ربهم قال الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : " يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به ؟ قال فيقول : نعم فيقول : قد اردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي " (رواه أحمد والشيخان) .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : " إن ا أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال : { ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا - إلى قوله - المبطلون } (رواه أحمد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك) .

عن أبي مسعود عن جرير قال : مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال فقال : يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحل عنه عقده فإن ابني مجلس ومسئول ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت : يرحمك ا عم يسأل . . . من يسأله إياه ؟ قال : يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت يا أبا القاسم : وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم ؟ قال : حدثني ابن عباس : إن ا مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خلقها إلى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يؤمئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية : { وإذ أخذ ربك من بين آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى } الآية فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم سئل عنها فقال : " إن ا خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل : يا رسول ا ففيم العمل ؟ قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " إذا خلق ا العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار " (رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن) .

(حديث آخر) : قال الترمذي عند تفسيره هذه الآية عن أبي هريرة قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " لما خلق ا آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه قال : أي رب من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال : رب وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة قال : أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته " (رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح) . (حديث آخر) : عن هشام بن حكيم Bه أن رجلا سأل النبي صلى ا عليه وسلّم فقال : يا رسول ا أتبدأ بالأعمال أم قد قضى القضاء ؟ قال فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " إن ا قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم

في كفيه ثم قال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار " (رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن هشام بن حكيم) .

فهذه الأحاديث دالة على أن ا D استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس وفي حديث عبد ا بن عمرو وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف : إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا ولهذا قال : { وإذ أخذ ربك من بني آدم } ولم يقل من آدم { من ظهورهم } ولم يقل من ظهره { ذرياتهم } أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالى : { وهو الذي جعلكم خلائف الأرض } وقال : { ويجعلكم خلفاء الأرض } وقال : { كم أنشأكم من ذرية قوم آخرين } .

ثم قال : { وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى } أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالا والشهادة تارة تكون بالقول كقوله : { قالوا شهدنا على أنفسنا } الآية وتارة تكون حالا كقوله تعالى : { وما كان للمشركين أن يعمروا مساجد ا شاهدين على أنفسهم بالكفر } أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى : { وإنه على ذلك لشهيد } كما أن السؤال تارة يكون بالقال وتارة يكون بالحال كقوله : { وآتاكم من كل ما سألتموه } . قالوا : ومما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل الإشهاد حجة عليهم في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل : إخبار الرسول صلى ا عليه وسلّم به كاف في وجوده ؟ فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره وهذا جعل حجة مستقلة عليه فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد ولهذا قال : { أن تقولوا } أي لئلا تقولوا يوم القيامة { إنا كنا عن هذا } أي التوحيد { غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا } الآية